اختبار الحيوان

مَن بحث في طبائع الحيوان الاعجم رأى فيها اموراً كثيرة عجب لها العلماء والفلاسفة من قديم الزمان حتّى قال بعضهم ان الحيوان يفوق الانسان فيها وقال غيرهم ان الحيوان يعمل اعماله مقوداً بقوّة الهية . واذا اطّرحنا المغالاة في تعظيم الحيوان الاعجم وتحقيره لم نرَ مندوحة عن الاعتراف له بكثير من الاخلاق والطباع التي جعلها الانسان محوراً لحضارته واعتمد عليها في ارتقائه . خُذ مثلاً لذلك الزيجة والاهتمام بتربية الاولاد فالطيور محافظة على نظام الزيجة اشدّ المحافظة ومنها المكتفي بزوجة واحدة وهو الاكثر ومنها المتّخذ زوجات كثيرة وكلّه يشارك زوجته في السرّاء والضرّاء ويقاسمها في الاتعاب والمشاق ويقوم معها على تربية الصغار احسن قيام . ولا تخلو طائفة من آحاد شذّت عن هذه القاعدة وركبت هواها واعتسفت في اعمالها ولو كان ذلك بدعةً ابتدعتها وسنّة سنتها لنفسها مثالة انثى الثيقب الاوربي فانها تبيض في اوجار غيرها من الطيور ولا تكتفي بزوجها بل تقرنه بغيره علّنا شأن الفاسقات المتهتّكات بخلاف انثى الثيقب الاميركي فانها لم تبلغ هذه الدرجة من خلع العذار بل تحضن بيضها بنفسها وتربّي فراخها وتعتني بها شأن الام الحنون . وهناك انواع اخرى من الطيور تجري اولاً على مقتضى الطبع في بناء العشاش لصغارها ثم لا تلبث ان ترى مشقة العمل فتحجم عنه وتضع بيضها في عشاش غيرها وتترك صغارها عالةً على بقية الطيور متّبعة مذهب روسو الفيلسوف الفرنسوي وكأنها تولي الطيور بذلك جميلاً

واذا التفتنا الى بقية انواع الحيوان رأيناها مهتمة بإخلاف النسل وتربيته اشد الاهتمام فالثعلب يربّي اجراءه ويعتني بها بحنو والدي . وكلب الماء يبني البيوت لصغاره كأنه مهندس من اعظم المهندسين . والنحل يرسل المستعمرة بعد المستعمرة من ابنائه لكي لا تضيق قفرانه عليه ولا تزدحم . والنمل يزرع ويحصد ويجمع الغلال ويخزنها ويربي المنّ كما نربي المواشي ويشارك الانسان في الاعتداء والغطرسة فيشنّ الغارات ويضرم نيران الحرب ويستعبد ابناء نوعه

والحيوان على انواعه يتعلّم بالاختبار ويستفيد بالتجارب . وقد شوهد ذلك بنوع خاصّ في بلاد كالينورنيا التي تغيّرت احوالها تغيّراً عظيماً منذ اربعين سنة الى الآن . فطائر السنونو كان يبني عشاشه منفتحة من اعلاها كما يبنيها في هذه البلاد ثم رأى من اعتداء بعض الطيور عليه ما جعله يغير هندستها فصار يسدها من اعلاها ويفتح لها ابواباً ضيقة بجانب

الحائط اللاصقة به . والصفرة التي في الولايات الجنوبية من اميركا تبني عشها في مكان مفتوح الى الشمال ولا تبطنه بشيء لان الاقليم حار يستدعي تجدد الهواء وتلطيفه . واما في الولايات الشمالية الباردة فتبنيه في مكان معرّض للشمس وتبطنه بشيء ناعم وثير تدفئة لفراخها

وقد كانت الطيور تكتفي بالاعشاب والطحالب لبناء عشاشها فلما كثرت الخيوط والخرق صارت تستخدمها لهذه الغاية ولكنها تختار من الالوان اقلها ظهوراً كاللون الرمادي لكي لا تعرّض فراخها للتهلكة . والطائر الهندي الذي يخيط اوراق الاشجار ليصنع منها عشاً لفراخه كان يستعمل شعر الخيل وبعض الطحالب الدقيقة خيوطاً فلما كثرت الخيوط المغزولة والخرق المنسوجة صار يستعمل خيوطها لهذه الغاية . واما في الاماكن البعيدة عن السكان فلم يزل يستعمل الطحالب وما اشبهها . وقد رأينا العصافير في القطر المصري تستعمل القطن بكثرة في بناء عشاشها ولم تكن تستعمله قبل ان شاعت زراعته . ويقال ان العصافير في بلاد سويسرا تستعمل قصاصة النولاذ الدقيقة اذ تكثر هذه القصاصة بجانب معامل الساعات

والذين يربون النحل الآن يصنعون الخلايا من الشمع ويضعونها في القفران لكي يقتصر النحل على جمع العسل وتربية الصغار فلم يعد يجمع المادة الشمعية من الازهار بل صار يكتفي بجمع العسل وخالف مجرى الطبع لان احوال معيشته اقتضت ذلك . ويمكن ابطال ما هو راسخ من ذلك من الطباع والغرائز اذا اقتضت الحال . قيل ان فرخ البط عوّام ولكن اذا ربي في بيت ولم يوضع في الماء حتى صار عمره ثلاثة اشهر ثم وضع في الماء خاف منه كما يخاف فرخ الدجاج

وقد انكر بفون الطبيعي انه يمكن الحيوانات ان تغير شيئاً من طباعها فقال «انها اليوم كما كانت بالامس وكما كانت دائماً او ستكون في المستقبل لا اكثر ولا اقل لان كل ما يكتسبه الفرد الواحد منها لا يورث نسله منه شيئاً ولا يورثه الا ما ورثه من والديه بخلاف الانسان الذي يرث معارف اسلافه كلهم ويضيف اختباره الى اختبارهم فيتقدم بتقدم النوع كله ويقدمه خطوة نحو الكمال»

وقد جرى كثيرون من العلماء على هذا القول كأنه حقيقة مثبتة مع ان الادلة على فساده اكثر من ان تحصى ولاسيما في تربية الحيوانات الاهلية فان الخيول الاصائل تتوقف قيمتها على صفات خصوصية تولّدت في افرادها وانتقلت الى نسلها بالوراثة . بل ان انتقال الصفات المكتسبة اثبتُ في الحيوانات الاهلية منه في الانسان فترى مهر الفرس الاصيل اميل الى

احتذاء ابيهِ وامهِ من ابن الفيلسوف وابن الشاعر الَّا ان الانسان المتحضِّر يستفيد من اختبار جميع اسلافهِ بواسطة ما يراهُ في كتبهم من اخبارهم واعمالهم وبواسطة طرق التعليم والتهذيب التي وسَّعت قوى العقل وقوَّت المدارك وهذا لا يتمتع الحيوان الاعجم بشيء منهُ حتَّى الكلب الذي رافق الانسان منذ الوف من السنين لم يقصد احد ان يربيهُ تربيةً عقلية بل جهد ما طلبوهُ منهُ ان يدل على الطريدة ويصطادها ويحمي البيوت والقطعان فنبغ في ذلك كما لا يخفى . وقد ارتأى بعض العلماء الآن وفي جملتهم المستر غالتون ان تربَّى الكلاب بقصد تقوية قواها العقلية فيُحفَظ نسل الكلاب التي يظهر فيها حذق وفطنة اكثر من غيرها وتزاوج بعضها مع بعض . وقد ذهب كثيرون من العلماء من ايام ليبنتز الى انهُ يمكن جعل الكلاب تنطق بكلمات مفهومة كما امكن تعويدها النباح وترسيخ ذلك فيها لان الكلب لم يكن ينبح قبلما صار داجنًا الَّا اننا نظن انهُ لو كان النطق مقدورًا للكلب او غيرهِ من انواع الحيوان الاعجم لما تاخَّر ظهورهُ فيهِ الى الآن لان القدماء اجتهدوا من باب ديني في اظهار كل قوى الحيوان الاعجم وابلاغها حدها من النحو فلم يستطيعوا ان يعلموهُ النطق حتَّى يصح ان يقال ليس في الامكان ابدع ممَّا كان

ويقول قوم نعم ان تربية الحيوانات الاهليَّة كانت متجهة في الغالب نحو تكثير لحمها ودهنها كما في الغنم والخنازير او تقوية عضلاتها واعصابها كما في الثيران والبغال او تطويل صوفها وتغزير لبنها كما في الغنم والبقر ولو سُلِّمت تربية الناس الى مخلوقات ارقى منهم كثيرًا فربوهم لاجل لحمهم ودهنهم كما يربي بعض الزنوج الاقزام الذين في بلادهم لما امتاز الانسان الَّا بالبضاضة وكثرة الشحم واللحم ولضمرت جميع قواهُ ومزاياهُ العقلية

ومن المعلوم ان اهالي الصين والجزائر المجاورة لها يربون الكلب للذبح والاكل فهو عندهم سمين بدين بطيء الحركة . وقد ربَّى البعض الخنزير لاجل الصيد والقنص فظهرت منهُ خفَّة ومهارة في الصيد كاجود انواع الكلاب السلوقيَّة ولم تجارهِ الكلاب في ذلك بل صارت تتقاعد عن اتباعهِ . واهالي برما يربون الافعى للصيد ويصطادون بها ديك الغاب فتصيد احسن من الكلب والصقر

وكل الحيوانات الداجنة او التي يمكن ان تصير داجنة فيها ميل طبيعي للاكتساب والتعلُّم بالاختبار حتَّى الاسد اشرسها يعمل عند الذين يربون الحيوانات اعمالاً لا تُنتظر من آلف الحيوانات . ومن كان في ريْب من ذلك فليدخل حلقة (سركل) من حلقات الحيوانات ويرَ الالعاب التي تلعبها فيرى الفرس يرقص على رجليهِ متبعًا في رقصهِ نغم

الموسيقي والخنزير يدخل من الحلقات ويخرج منها بخفة الثعلب والاسد يدخل من الاطار المشتعل ويخرج منهُ ولا يشكو ضيماً والكلاب تتقاصر وترقص قائمة على ارجلها والقرود والثيران والدببة تحيّر الابصار باعمالها وخفّة حركاتها

وقد شاهدنا ذلك مراراً ولم يسعنا الاَّ الحكم بان الحيوان الاعجم قابلٌ للتعلُّم ويمكنهُ ان يعمل اعمالاً تدهش الابصار . وقد ثبت ممَّا تقدم ان ما يستفيدهُ بعض افرادهِ بالاختبار قد ينتقل الى نسلهِ بالوراثة أفلا يمكن ان يرجَ فيهِ ما يستفيدهُ بالتعلُّم وينتقل منهُ الى نسلهِ بالوراثة تلك مسألة لم يحلها العلم حتَّى الآن ويظهر لنا انها مخالفة لمذهب ويسمن الشهير في الوراثة الاَّ ان هذا المذهب لم يزل في معرض البحث والاعتراضات عليهِ تزيد يومًا فيومًا ويسرُّنا ان علماء الطبيعة احلوا مسألة تعلُّم الحيوان الاعجم محل البحث والنظر واخذ بعضهم يمتحن ليرى ما يمكن ان يبلغهُ الحيوان اذا رُبِّي تربية علميَّة

النوم المغنطيسي

صحيحهُ وفاسدهُ

الانسان مولع بمعرفة الغريب واكتشاف المجهول فاذا عجز عن اكتشافهِ بطرُق البحث والاستدلال العاديَّة لجأ الى اساليب اهل السحر والمندل والرمل والتنجيم . وقد رسخ هذا الخلق فيهِ من ايام الجهل والسذاجة ولم يزل راسخًا حتَّى الآن مع ما استعملهُ العلماء والفقهاء من الوسائط لازالتهِ . ونراهُ يظهر بمظاهر مختلفة شرقًا وغربًا فالمندل في ديار الشام والزار في القطر المصري والتنويم المغنطيسي في البلدان الاوربية والاميركية صور مختلفة لامر واحد كان شائعًا عند المجوس الاقدمين ولم يزل شائعًا في اواسط اسيا وافريقية

وقد كان من نصيب المقتطف من حين نشأتهِ ان يقرِّر الحقائق وينفي الاباطيل وكان في جملة الاباطيل التي اقترح عليهِ نفيها ما يُنسَب الى التنويم المغنطيسي من الخوارق والى اهلهِ من معرفة الغيب فكتبنا في ذلك الفصول الطوال وامتحنَّا التنويم مراراً على انفراد وامام الجمهور وابنَّا صحيحهُ من فاسدهِ . وقد عثرنا الآن على مقالة للدكتور هارت الذي مارس التنويم المغنطيسي اكثر من اربعين سنة واتَّبعهُ في كل ادوارهِ وبحث فيهِ بحثَ مَن يريد استجلاء الحقيقة لاخداع الجمهور فرأينا انهُ اتَّصل الى نفس النتائج التي قرَّرها العلماء قبلهُ واثبتناها في صفحات المقتطف وزاد عليها شرحًا وايضاحًا لا بأس بايرادها تكملة للفائدة فنقول